زياراتُ قرى شمال العراق الرعائيَّة
قام بها البطريرك يوسف أودو (١٨٦٧-١٨٦٨)

الأب بطرس حدّاد *

مقدّمة

إنّ البطريرك يوسف السادس أودو (ت ١٨٧٨) هو أشهر من أن أعرّفه[١]، فذكراه حيّة في قلوب أبناء طائفته، ويتناقل الخلف عن السلف أخبار جهاده الحسن في خدمة الله والكنيسة.

إنَّ الأسطر التالية مقتطفة من دفتر التريّات أي مصروفات دار البطريركيَّة الكلدانيَّة اليوميَّة، رأيت فيها معلومات مفيدة جديرة بالنشر، خاصّة أنّ تغييرًا جذريًّا قد طرأ على معظم القرى الواردة في المقال، لا بل زال عدد كبير جدًّا منها في السنوات الأخيرة.

الكتابة ليست بخطّ البطريرك، بل بخطّ أحد مرافقيه؛ اللغة بسيطة تكثر فيها الأخطاء الإملائيّة، وهي متأثّرة باللهجة الموصليّة، حيث كان مقرّ الكرسيّ البطريركيّ آنذاك. لكنّنا نستشفّ بين الأسطر غيرة عالية على خدمة شعب الله، وروحيّة الفقر الرهبانيّة المستوحاة من البساطة الإنجيليّة.

وإنّي أورد النصّ كما في الأصل، وما بين الأقواس إضافات مقتبسة

(*) البطريركيّة الكلدانيّة، بغداد.

(١) راجع: J. Tfinkdji: *L'Eglise Chaldéenne Catholique autrefois et aujourd'hui*, Paris, 1913, p. 15 - 16.

من الدفتر نفسه، لكنّها ملتقطة من هنا وهناك توخّيًا للفائدة. والدفتر المذكور هو في خزانة البطريركيّة الكلدانيّة ببغداد، وهي تنشر بإذن من غبطة السيّد البطريرك مار روفائيل الأوّل بيداويد الكلّي الطوبى.

الزيارة الرعائيّة سنة ١٨٦٧

كتب: «قد خرجنا من الموصل في ٢٥ شهر آب، يوم الأحد، سنة ١٨٦٧؛ جئنا على دير مار كوركيس وبتنا، وفي الليل قدّس غبطته وجئنا على تلكيف، وفي تلكيف بتنا يومين. ومن تلكيف جئنا على بطنابة بتنا يوم، ومن بطنابة جئنا على تللسقف بتنا يوم، ومن تللسقف جئنا على باقوفه بتنا يوم، ومن باقوفه جئنا على دير السيّدة بقينا يومين[٢]، ومن الدير جئنا على دهوك وبتنا يومين، ومن دهوك جئنا على منكيش[٣] وبتنا فيها أربعة أيّام، ومن منكيش جئنا على داؤدية وما بقينا فيها بل حاولنا (جاولنا؟) فيها وجئنا على قرية دهي، ومن قرية دهي جئنا على قرية جلك، ومن جلك جئنا على هلمون؛ دخلنا على هلمون في يوم الأربعاء وقت العصر في ١١ أيلول. وفي اليوم الأوّل [من نزولنا هناك] حلّ غبطته أنفارًا منهم [أي من النساطرة المتكتلكين] في ليل واحد خمسة وستّين نفرًا. وثاني ليل حلّ غبطته أربعين؛ ثمّ بقينا في قرية هلمون أيّام عدد ٢٥؛ وخرجنا يوم الإثنين جئنا على قرية آروش، ومن آروش جينا على عيون السمك - أي عين نوني[٤] - ومن هناك جينا على عمادية [واستقبلنا ضبطية[٥] مرسلين من خندان آغا فمنحناهم ٢٠ قرشًا] وبقينا فيها أيّام عدد ٢٨؛ وبعدد جئنا على قرية حمزية بتينا فيها ليلتين، وجئنا على قرية بيناته

---

(٢) زيادة في المعلومات عن هذه القرى المسيحيّة، انظر:
J.M. FIEY, O.P., *Assyrie Chrétienne*, Beyrouth, Dar el-Machreq - 1965.

(٣) لمزيد من المعلومات عن القرى المسيحيّة التي ترد بعد منكيش، انظر للمؤلّف نفسه:
J.M. FIEY, O.P., «Sanctuaires et villages syriaques orientaux de la vallée de la Sapnaa», *Le Muséon*, t. 102 - fasc. 1-2 (1989) p. 43 ss.

(٤) تسمّى اليوم بالكرديّة كانيماصي وتؤدّي المعنى نفسه أي عين أو عيون السمك.

(٥) ثلّة من الشرطة تخرج لاستقبال الشخصيّات المهمّة ومرافقتها.

وبقينا فيها ثلثة أيّام، وجئنا على قرية إينشك بقينا هناك خمسة أيّام، وتحوّلنا على قرية أرادن [فأعطينا للقسّ الجديد زيا بن بولص ماتي قرش، واشترينا له لفّة ويمبني (أي عمامة وحذاء) بمبلغ ٤٢ قرشًا].

ريشيث[٦] سنة ١٨٦٧

عمادية ٣٣ قرشًا، حمزية ٥٤، بيناثه ٦٥، إينشك ٧٨، تنا ١٦٥، داوْدية ١٥٠، أرادن ٢٤٢، منكيش ٥٢٣.

الزيارة الرعائيّة سنة ١٨٦٨

نقرأ أيضًا: «ثمّ خرجنا من الموصل في غرّة تمّوز سنة ١٨٦٨[٧]، في الليل جئنا على قرية كرمليس، ومكثنا فيها ٧ أيّام، ومن هناك في الليل ارتحلنا على قرية تلكيف ومكثنا هناك نحو أيّام...» (ويظهر أنّه عاد إلى الموصل لأمر هامّ فانقطعت الزيارة، وفي أيلول انطلق إلى بطناية مباشرة ليكمل زيارته الرعائيّة كالسنة السابقة؛ ويذكر في مراحل زيارته أنّه اشترى من الخضروات: الباذنجان واليامية والسلق والبطاطا. كما وردت أيضًا أسماء بعض القسس في خدمة القرى، منهم: ميخائيل شمسية وتوما كتولا وحنّا زهرة في تلكيف. وقسّ قرياقوس في بطناية. والقسس: حنّا ويوسف وكوركيس في منكيش. والقسّ أوراها في تنا. والقسّ يونان في دهوك. والقسّ متي رئيس في ألقوش[٨]).

ريشيث سنة ١٨٦٨

داوْدية ١٧٢ قرشًا، تنا ١٦٤، أرادن ٢٤٠، إينشك ١٠١، بيناثه ٧٧، حمزية ٦٠، بليجنك ١٦، منكيش ٢٥٥.

---

(٦) هي ضريبة الرأس، أي تبرّع الأسر المسيحيّة لرئيس الطائفة المحلّيّ، وتُدفع عن الذكور طوعًا.

(٧) نلاحظ في الزيارتين أنّ البطريرك بارح الموصل في تمّوز أو آب وذلك لاشتداد الحرّ في المدينة، في حين يكون المناخ ألطف جدًا في قرى الشمال.

(٨) معظم القسس ذُكروا بلا ألقابهم أو أسماء والديهم، أمّا الأخير فهو ابن أخت البطريرك أودو.

إحصائيّات سنة ١٨٦٨

أرى أنّ أهمّ ما في هذا الدفتر هي الإحصائيّات التالية، إذ ليس لنا إحصائيّات سواها ترجع إلى القرن الماضي. كتب:

بيان عدد نفوس تلكيف في ٢٠ تمّوز ١٨٦٨

	ذكور	إناث	بيوت
تلكيف	٢٢٥٣	٢٢٠٠	٥٠٠
بطنايه	٤٠٣	٤٢٨	١٣٢
باقوفه	١٥٦	١٨٢	٥٨
تلسقف	٦٧٠	٦٧٩	٢٠٣
ألقوش (تشرين ١)	١٢٣٨	١٢٣٩	٤٦٤
منكيش	٤٧٦	٤٣٢	١٧٢
داؤدية (تشرين ٢)	١٢٢	٩٢	٣٨
تنا	١٢١	١٠١	٣٧
أرادن	٢٣٢	٢٠٢	٧٠
إينشك	٨٦	٦٥	٢٣
بيناثه	٥٤	٤٥	١٨
حمزيه	٣٢	٣٤	١٠
كومانى	[كُتب الاسم ولم يُذكر العدد]		

إضافة

كتب أيضًا: «قد أخذنا من يد أولاد بنيامين من قرية بيرته: شمعون وهرمز، من طرف إيراد الكنيسة التي بيدهم من جهة سنة الماضية بطمان واحد صابون وأربعة أمنان توتون، وغروش عدد ٨٠ وكذلك ريشيث من المذكورين غروش عدد ١٢ في ٢٥ كانون ٢ سنة ١٨٦٩ في قرية ألقوش».
أقول: المن مقياس للوزن يختلف من مكان إلى آخر، ويساوي عادة نحو ٢٥ كغم، والبطمان مقياس محلّيّ يختلف من قرية إلى أخرى، فعند بعضهم يساوي المن وعند بعضهم الآخر يساوي ٤ أمنان. وأمّا التوتون فهو التتن أي التبغ وهو الدخان، ومنه أنواع جيّدة تُزرع في شمال العراق.